

في
التأوير الإسلامي

٣٦

السنة والبدعة

لشيخ الإسلام: محمد الخضر حسين

تقديم وتحقيق

د / محمد عمارة

السُّنَّةُ وَالْبِدْعَةُ

لشيخ الإسلام: محمد الخضر حسين

تقديم وتحقيق

د. محمد حمادة



مكتبة
الطباعة والنشر والتوزيع

للسيد أحمد محمد بن عبد الله سنة ١٤٢٨



السنة والبذعة لشيخ الإسلام: محمد القنصري حسين

تقديم وتحقيق د. محمد عمارة

يونيه ١٩٩٩

١٩٩٩ / ٥٩١٣ م.

I . S . B . N 977 - 14 - 0948 - 4

دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

٨- المنطقة الصناعية الرابعة

مدينة السادس من أكتوبر

ت: ٢٣٠٢٨٧ / ١١ / ١٠ (خطوط)

فاكس: ٢٣٠٢٩٦ / ١١

١٨ ش كامل صدقي - القجالة - القاهرة

ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٢

فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ / ٢ ص ب ٩٦ القجالة

٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

ت: ٢٤٦٦٤٣٤ - ٢٤٧٢٨٦٤ / ٢

فاكس: ٢٤٦٢٥٧٦ / ٢ ص ب: ٢٠ إعباية

اسم الكتاب

اسم المؤلف

تاريخ النشر

رقم الإيداع

الترقيم الدولي

الناشر

المركز الرئيسي

مركز التوزيع

إدارة النشر

تقديم

سبحان الله العظيم !

لقد أنعم الله ، سبحانه وتعالى ، على هذه الأمة عندما جعل وسطيتها إرادة إلهية وجعلها ربانيا ، وليست مجرد خيار إنسانى لما هو مباح من الأمور ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ (١).

وتميزت هذه الوسطية ، فى النسق الفكرى الإسلامى ، بأنها العدل المتوازن ، والتوازن العادل ، التى تبرا من غلوى الإفراط التفریط ، فهى تجمع من طرفى الغلو عناصر الحق ومكونات العدل ، لتكون هذه الوسطية الإسلامية الجامعة ، موقفا ثالثا ، هو اعتدال بين تطرفين ، وتوازن بين خللين ، وعدل بين ظلمين وحق بين باطلين ، وهو المعنى الذى أصاب لبه حديث رسول الله ، ﷺ ، الذى عرّف فيه هذه الوسطية عندما قال : «الوسط : العدل ، جعلناكم أمة وسطا» (٢) .

فالوسطية ، فى الفكر والسلوك ، هى متظار الرؤية الإسلامية لكل شئون الدين والدنيا . . والغلو - بطرفيه - هو سبيل المنتكبين سبيل المؤمنين بالإسلام . . .

(٢) رواه الإمام أحمد .

(١) البقرة : ١٤٣ .

ولقد كان - ولا يزال - هذا الحال هو حال الناظرين والمتعاملين مع سنة رسول الله ، ﷺ . ضل منهم أولئك الذين غالوا في تعاملهم مع ماثورات السنة ومروياتها ، إفراطاً أو تقيطاً . . واهتدى الذين اتخذوا منها الموقف الوسطى ، المتسم بالتوازن والعدل والاعتدال . .

لقد تميزت النظرة الأصولية الوسطية للسنة النبوية بالتمييز ، في مرويات هذه السنة وماثوراتها ، بين الأحاديث المتواترة وبين أحاديث الآحاد . . والتمييز في كتب السنة بين الصحاح التي وضع جامعوها شروطاً للصحة رفعت من درجات الاطمئنان للمرويات ، وبين تلك الكتب التي جمع أصحابها كل المرويات ، تاركين التدقيق والفرز للعقل الناقد ، وفق قواعد علم الجرح والتعديل للمرواة ولمتون ومضامين المرويات . .

والتمييز في مضامين المرويات بين «العقائد» - التي لا بد من أخذها عن النصوص قطعية الثبوت - وبين «الأمور العملية» التي تحولت إلى «واقع» مارسه الناس - والتي يمكن - لذلك - أخذها عن أحاديث الآحاد ، ظنية الثبوت . .

كذلك ، ميز هذا المنهج الوسطى - في التعامل مع السنة النبوية - بين :

- السنة النبوية ، التي جاءت ببياناً نبوياً للبلاغ القرآنى ، والتي هي ، لذلك ، دين ثابت ، اكتسبت وضع الدين الإلهى من مجيئها بياناً للموضع الإلهى - أى الدين - . .

- وسنة العبادة ، التى جاءت تفصيلا لحمل القرآن الكريم ، وتجسيدها للمناسك والشعائر التى تمثل طاعة العباد للمعبود ، وآيات إسلام المسلمين الوجه لله . . - التى هى ، لذلك ، دين خالد ، وعطلق دينى ، لا زيادة فيها ولا نقصان منها ، ولا تغيير لها ولا تبديل ، مهما تغير الزمان أو اختلف المكان ، أو تبدلت العادات والأعراف . .

- والسنة التشريعية ، التى مثلت أحكاما جاءت بها الأحاديث النبوية فى المعاملات الدنيوية الثوابت ، المرتبطة بمنظومة القيم الثابتة ، وبالغطرة الإنسانية السوية ، التى لا تختلف باختلاف الزمان والمكان . .

ميز المنهاج الإسلامى الوسطى بين أنواع السنة هذه - التى هى دين مطلق وخالد - لأنها البيان النبوى للبلاغ القرآنى - الذى هو جماع الدين . . وديوان الوضع الإلهى - وبين أنواع من السنة النبوية ، مثلها أحاديث تعلقت به :

- سنة العادة ، التى فعلها أو تركها رسول الله ﷺ لعادات وأعراف اجتماعية بيئية . . أو جلبه إنسانية . . أو لحب أو كره فى مقومات حياته كإيمان . .

- والسنة غير التشريعية ، التى مارسها رسول الله ﷺ فى نطاق الاجتهاد - غير المعصوم - فى التغييرات الدنيوية ، المعللة بحكم ومقاصد تتغير بتغير الوسائل المحققة لهذه الحكم وهذه المقاصد . . - التى تتعلق أساسا بالسياسات والمعاملات فى التفاصيل والفروع - أى فى الفقهيات - . .

- والسنة التي مثلت خصوصيات لرسول الله ، ﷺ ، والتي نص القرآن الكريم ، أو نبه الرسول ، في الأحاديث ، على أنها من خصوصياته التي لم يلزم بها أمة الإسلام . .

● كذلك ميز المنهاج الإسلامى الوسطى - فى التعامل مع السنة النبوية - فى فعل رسول الله ، ﷺ ، وتركه ، بين العبادات الثوابت . . وبين المعاملات المتغيرة . . فالأولى الاقتداء فيها والتأسى هو تعبد وعبادة . . والثانية لا ثبات فيها للوسائل ولا قداسة فيها للآليات ، وإنما الدين فيها هو تحقيق المقاصد التي تنفيا المصالح الشرعية المعتبرة للعباد . .

● وميز هذا المنهاج الوسطى كذلك ، فيما تركه رسول الله ، ﷺ ، بين ما تركه لأنه منهى عنه ديناً . . وبين ما تركه لعدم ظهور ما يقتضيه فى عصره . . فباب الفعل لهذا المتروك مفتوح عندما نظراً - مع العصور المتلاحقة - مقتضيات الفعل لهذه المتروكات . .



تلك معالم ونماذج - مجرد معالم ونماذج - للمنهاج الوسطى فى التعامل مع السنة النبوية . . وهو المنهاج الذى ساد طوال عصور الاجتهاد الإسلامى ، والتي دونت فيها السنة ، وقامت فيها علومها ، فسمعة بارزة فى علوم الحضارة الإسلامية .

وكذلك صنع المنهاج الإسلامى الوسطى فى التعامل مع «البدعة» . .

فالبدعة ، التي هي ضلالة ، والتي هي في النار ، هي ما تحالفت
كتابيا أو سنة صحيحة أو أثرا تلقته الأمة بالقبول ، أو إجماعا مثل
ومثل سلطة الأمة في التشريع ..

أما المحدثات من الأمور ، والإبداعات التي يبدعها الناس غير
الزمان والمكان ، خارج نطاق ثوابت الدين وعقائده وعباداته
وكتليات معاملاته ومنظومة قيمه ، فإن معيار القبول فيها أو الرفض
لها هو موقع المقاصد التي تحققها من الحلال والحرام في الدين ،
وعلاقة هذه المقاصد بالمصالح الشرعية المعتبرة للعباد .. ولذلك ،
فإن هذه البدع والإبداعات المحدثّة تأخذ الأحكام الشرعية
الخاصة .. فقد تكون واجبة .. وقد تكون مندوبة .. وقد تكون
مكروهة .. وقد تكون محرمة .. وقد تكون مباحة .. وذلك وفق
موقعها من تحقيق المقاصد الشرعية والمشروعة ، وليس وفق حدودها
قدما أو عديم حدودها .. بل لقد استقر هذا المنهاج الوسطي
الإسلامي - في التعامل مع البدعة - على أن الإفشاء الفردي بما
يخالف رأى جمهور العلماء ليس من البدعة المذمومة ديتيا .. ذلك
أن الموازنة هنا ليست بين بدعة وسنة ، وإنما هي بين رأى مرجوح -
هو الإفشاء الفردي الجديد - وبين رأى راجح - هو إفشاء جمهور
العلماء - فكل اجتهداد في الإفشاء - فرديا كان أو للجمهور - هو
استنباط حكم «ظني» ، أما البدعة الضلالة فهي الإحداث في
الشابث الديني ، لأنها تُحلّ «الظني الإنساني والنسبي البشري»
محل «المطلق الديني» ، الذي هو من وضع العليم الخبير ..

لكن الفكر الإسلامى - فى عصر الشرايع الحضارى .. وفى عصر التغريب - أى فى حقب «التقليد الموروث» و«التقليد الحدائى» - قد ابتلى بالانحراف عن هذا المنهاج الوسطى فى التعامل مع السنة النبوية ..

فوجدنا من أهل «التقليد الموروث» من لا يميزون بين ألوان المأثورات والمرويات ، فيلزمون أنفسهم ويلزمون الأمة بما لا يلزم - وهذا هو غلو الإفراط - ووجدنا من أهل «التقليد الحدائى» من يهدرون كل المرويات ، بدعوى «التاريخية» أو «التاريخانية» ، التى تربط كل النصوص بالزمن الذى ظهرت فيه ، والملايسات التى صاحبت نشأتها الأولى ، وذلك دون تمييز فى هذه النصوص بين أقسامها التى تحدث عنها علماء الأصول ، حتى لقد جعلوها «علما» أفردوا له المؤلفات (١) ..

إنهم لم يميزوا بين السنة التى هى دين ثابت ، لتعلقها بالبلاغ القرآنى والشوايت الدينية - فى العقائد والعبادات والقيم وثوابت المعاملات وفلسفات التشريع ومبادئه وقواعده - وبين السنة التى هى فقه الواقع النبوى المتغير ، ومثلها سنن العادات والخصوصيات النبوية .. فمثلوا غلو التفريط ، كما مثل أهل «التقليد الموروث» غلو الإفراط ..

وإذا كان الله ، سبحانه وتعالى ، قد أراد لهذه الأمة أن تكون وسطاً .. عدلاً .. متوازناً .. وذلك حتى تحقق الشهود الحضارى على حضارات الغلو - غلو الإفراط والتفريط - ..

(١) من نقاش الكتب الأصولية فى هذا الفن كتاب القرافى ، شهاب الدين أحمد بن إدريس (الإحكام فى التمييز ما بين الفتاوى والأحكام ونصريات الفاضل والإمام) تحقيق: الشيخ عبدالفتاح أبو غدة - طبعة حلب سنة ١٩٦٧م - وكتاب ولى الله دلهوى (حجة الله البالغة) طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢هـ .

وإذا كانت حياتنا الفكرية الحديثة والمعاصرة ، تعاني من الاستقطاب الحاد بين الغلاة ، في الموقف من السنة النبوية الشريفة ، فإن الحاجة تتزايد إلى تقديم الفكر «الأصولي - الوسطي» ، الذي يقدم للباحثين والقراء معالم المنهاج الوسطي في التعامل مع سنة رسول الله ﷺ ، وذلك تعميقاً لمعالم هذا المنهاج الوسطي ، الذي هو وحده منظور الرؤية الإسلامية الخالصة .. وأيضاً لدعوة الغلاة - من أهل «التقليد الموروث» .. و«التقليد الحداثي» - إلى كلمة سواء ..

ولذلك .. ووفاء بهذا الواجب الفكري ، نقدم إلى الباحثين والقراء هذه الدراسة «الأصولية - المجددة» - عن (السنة والبدعة) - لواحد من أعلام الأصولية الإسلامية المجددة .. الإمام الأكبر الشيخ محمد الحنظلر حسين (١٢٩٣ - ١٣٧٧ هـ ١٨٧٦ - ١٩٥٨ م) (١) ..

سائلين المولى ، سبحانه وتعالى ، أن يتقبلها خالصة لوجهه الكريم .. وأن يجعلها في ميزان حسنات هذا الإمام العظيم .. إنه أعظم مشول .. وأكرم مجيب .

دكتور

محمد عمارة

(١) انظر ترجمتنا للشيخ محمد الحنظلر حسين ، في كتابنا (معركة الإسلام وأصول الحكم) طبعة دار الشروق ، القاهرة سنة ١٩٩٨ م . وكتابنا (نقص كتاب الإسلام وأصول الحكم) - سلسلة «في التوير الإسلامي» - ص ٩ - ٢٣ طبعة نفيسة مصر - القاهرة سنة ١٩٩٨ م .

شرع الله الدين الخفيف في سماحة وحكمة ، فلم يأت بما فيه حرج ، أو بما يتبو العقل السليم عن قبوله ، وكانت هذه السماحة والحكمة من أسباب انتشاره في المعمورة وظهوره على الأديان كلها في أعوام معدودة ، وحيث بلى بعض الشرائع من قبل فدخلها فساد التبديل والتأويل - اشتدت عناية الشارع بتحذير الناس من أن يحدثوا في الإسلام ما ليس منه . قال عليه السلام : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وقال «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» (١) .

ولم يخلص الدين مع هذه الزواجر من طوائف يلصقون به ما ينافي سماحته ، أو ما يشوه وجه حكمته . وقد كثرت هذه البدع حتى حجبت بجانباً من محاسنه ، وكان لها أثر في تنكّر بعض القلوب لهدايته ، وهذا ما حمل كثيراً من أهل العلم على أن يتناولوا البدع بالشألف خاصة ، كما فعل أبو بكر الطرطوشي (٢) وأبو إسحاق الشاطبي (٣) وغيرهما من رجال الدين .

(١) صحيح الإمام البخاري .

(٢) أبو بكر الطرطوشي ، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي ، الأندلسي (٤٥١ - ٥٢٠ هـ ١٠٥٩ - ١١٢٦ م) من فقهاء المالكية بالأندلس ، ومن الحفاظ ، والأدباء . سكن الإسكندرية ، بعد رحلة إلى الشرق ، وتولى التدريس فيها إلى أن توفي بها .

(٣) الشاطبي ، إبراهيم بن موسى بن محمد النخعي (٧٩٠ هـ ١٣٨٨ م) من أبرز علماء الأصول ، ومن الحفاظ . وبعد كتابه (الموافقات) رتباً في فن مقاصد الشريعة الإسلامية .

وللبحث في البدع مجال واسع ، ونحن نلج في هذا المقال بالقدر الكافي لإجابة رسائل اقترح أصحابها على المجلة^(١) بيان ما هو سنة وما هو بدعة ، وفي الفرق بين السنة والبدعة ، وتمييز البدعي من السنّي إصلاح كبير .

(١) المجلة - التي يشير إليها المؤلف - هي الهداية الإسلامية - التي أصدرها الشيخ الخضر ، بالقاهرة ، في عشرينيات القرن العشرين - لسان حال للجمعية التي أسسها ، بنفس الاسم - وكنايته (رسائل الإصلاح) بأجزائه الثلاثة - عبارة عن المقالات التي نشرها في هذه المجلة .

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..
فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتستفيد هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ،
التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د . محمد عمارة ● المستشار طارق البشري
- د . حسن الشافعي ● د . محمد سليم العوا
- أ . فهمي هويدي ● د . جمال الدين عطية
- د . سيد دسوقي ● د . كمال الدين إمام
- د . عبد الوهاب الميري ● د . شريف عبد العظيم
- د . عادل حسين ● د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام -

الناشر